(٧)

لا تطلب الحقيقة وجودا بعيدا عن وجودك
فلن تشهدها قياما بعيدا عن شهودك
كن لمن كانته فكانها تكنه وتكونها
لا إلى الله إلا الله

حديث الجمعة

٢٩ شوال ١٣٨٣ هـ - ٧ مارس ١٩٦٤ م

تصحيح التاريخ الهجري: ٢٣ شوال ١٣٨٣ هـ

سبحانك.. لا نحصي ثناءً عليك، كما أثنيت أنت على نفسك، تعالت ذاتك عن النوال، وعن المثال، وعن المَقامات والأحوال، سبحانك لا إله غيرك.

باسمك يقوم الوجود، وباسمك يقوم كل موجود، ومن اسمك يستمد كينونته كل كائن، ومن كائنك يستمد شيئيته كل شيء.

بك تقوم الحياة، وبالغفلة عنك تُفقد الحياة. بمرضاتك تكون النجاة، وبالغفلة عن رضائك يُعرف معنى الشقاء والبلاء والجزاء، لا إله غيرك.

منك تبدأ الأمور، وإليك تصير الأمور، يوم لا يفرط الإنسان في أمره بك فيعلمه أمرك به. منك يتواجد الوجود، وبك إليك فيك يتجدد ويتحقق الوجود، بموجود الإنسان له على موجود الإنسان منه في موجود الإنسان لك.

سبحانك.. لا إله غيرك، ولا موجود سواك.

الليل من خلقتك، والنور من رحمتك، والحياة من حقيقتك، والروح من أمرك، والأمر من إرادتك، والإرادة من وجوه طلعتك.

سبحانك.. لا إله غيرك، ولا معبود سواك.

إن أرسلت الليل سرمدا مَن غيرك يأتينا بنهار؟ وإن أرسلت النهار سرمدا من غيرك يأتينا بليل؟

أحطت ظلام الليل بنورك، وأحطت نور النهار بليلك. جعلت في الليل السكينة، وجعلت في النور العلم والمعرفة. وجعلت في الروح الحياة واليقين. وجعلت في الأمر الحكمة والطاعة. وجعلت في الوجه الطلعة والشفاعة.

يا من يملك ذلك كله، مما نعلم، ومما يصح أن نعلم، ومما يصح أنَّا لا نعلم، ومما لا نعلم، تعاليت فتنزهت، وتدانيت فتشبَّهت، وجعلت الإنسان عَلَما عليك في تنزيهك وتشبيهك، فهو المنزه والمشبه، وخصصته بالمعرفة عنك في المعرفة عنه عبدا وربا في تنزيهه وفي تشبيهه، لا معبود غيرك، ولا إله سواك، سبحانك، سبحانك، سبحانك.

جعلت الإيمان بك قرين الإيمان بالنفس، مقروءة معلومة.. ما هي، وما كانت، وما تكون، كتاب علمك، فأخطأ أهل النفوس وظنوا أن الإيمان بأنفسهم هو الإيمان بك، والاستجابة لها هي الاستجابة لك، {ويحذركم الله نفسه}[1]، ولقد جعلت معانيك لمعانيهم تعريفا عنك وتشريفا لهم تقوم وتعرف بالإنسان منك، يرسل إليهم ويدانيهم، يرسل منه ليكونوا أسماءً لك بإحسانهم، وجعلت الصلة بهم صلة به، والصلة به صلة بك، {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}[2]، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وابتغوا إليه الوسيلة، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض.

عَرَّفهم عن معانيه لمعانيهم، يوم يغيرون ما بأنفسهم مما عداه ليكونوا به لله أسماءه الحسنى، يوم يحسنون إلى أنفسهم بالصلاة صلة بينه وبينهم. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[3]، وعَرَّفهم، وحذرهم نفسه لأنفسهم، وقد بدأها بهم في عزلتها بالابتلاء {ليبلوكم أيكم أحسن عملا}[4] قبل إقامة وصلتها بالاصطفاء والجزاء، {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس}[5] وَبيَّن لهم الرسول أمرها (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[6].

يا من تواجد في الظلام، ابنا للظلام، واسما للظلام، ووجها للظلام، يغمر الظلام مشكاة صدرك، ويتكاثف فيغلف مصباح قلبك، ويطغى فيطفئ جذوة نورك، يا عبد الظلام، يا اسم الظلام، آمن بالظلام لنفسك، وآمن بالظلم لفعلك، وآمن بالانحراف لإرادتك، (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)[7]، {إن الإنسان لربه لكنود}[8]، فكيف تطلب معناك به لرسمِك؟ وكيف تزعمك لله بكسمك، وأنت لم تغير ما بنفسك؟

نعم إن الله معك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد. إنه معك يراك ويسمعك. إنه بلطيفه بين جوانحك.. إنه عليك يرعاك، إنه من تحتك يحملك بما كرمك لفوقيته على تحتيته وليد قدرته، (يقوم

ويتقلب في الساجدين)[٩]، (واخفض لهم جناح الذل من الرحمة)[١٠]، يرعاك برحمة فوقيته، ويتخللك بقويم إرادته، ويُعلمك بما فيك، وبما بين يديك من حكمته، ويحملك على يد رحمته. لا تطلبه - وهو الحق لك - معنىً بعيدا عن معناك، ولا تعرفه نفسًا في غير نفسك، فلا سكينة في غير ليلك. تخلق في خلقه هي لك ما تابعته مع من أخرج الله لك من أنفسكم من وجوهه بأخلاقه وصفاته بأئمتكم من رسله وظلال رسوله.

إن للظلام استقامة تجعل منه ليلا، كما أن للنور استقامة تجعل منه نهارا، فليس الشرف والتفاوت في الطبيعة للجلباب من النور، أو من الظلام، أو من النار، فالإنسان لجلبابه يجمع ذلك كله، {في أي صورة ما شاء ركبك}[١١]، ولكن الشرف والتفاوت في العلم، في المعرفة، في الحكمة، وهذه سر القدرة، والكسب لها، في العمل عند من كسبها مع من كسبها وأكسبها، لمن عرف، ولمن أحكم، رسولا من أنفسهم بعوالم الظلام أو لعوالم النور والنار.

إن بدء من بدأ للتخلق بخلق الله معلومة له بإنسانها وهو في الظلام، تخلق باسم الله النور فيه، ومازال بظلامه هيكلا لنوره. إنا أنزلناه في ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها، بإذن ربهم من كل أمر. أُنشد واطلب ربك رفيقا أعلى، واعبد واستقم للانهائي، واحكم أمرك بما جاءك من الحكمة مع ما دَرَّاك ما ليلة القدر، {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا}[١٢].

لا يعيبك، بل يشرفك أن تكون ليلا، ولكن يعيبك أن لا تكون مستقيما في حجابك من الليل. ففي الليل يحكم خالق الليل كل أمر، وفي الليل يُعَبِّد الخالق كل عبد، وبالليل يسري رسول النور في أهل الليل ليشرقوا بالنور، فيعلوا العليم الذي أصبح عالما، بمن عَلَّمه، وبمن أدراه، فعرفه من الرحمة رسولا يُوحِي، فيكون له وحيا به يوحى، فيُصبح به رسولا يُوحي إلى من يُوحَى إليه.

فما كان الرسول إلا وحيا أُوحِي إليه، وما كان الموحَى إليه، بما أوحى إليه، لمن أوحَى إليه، إلا عين الوَحي إليه وحيا يُوحَى. فإذا أُوحِى وَحيًا يُوحَى إلى من إليه أُوحى، كان الأعلى. والذي أَوحَى ما أُوحَى، هو من خلق باصطفائه لمصطفاه خلقا من بعد خلق، فسوى مصطفاه لنفسه بنفسه نفسا لمن أوحى، علما على من أَوحى، فعرفه في نفسه، فسبح الموحَى إليه الأعلى ربا كريما بعد أن أكبر عظمة الأدنى، لمن دنا فتدلى، فكان لمن إليه دنا، وعليه تدلى، ومَحَبة له تدانى، أقرب من قوسين أو أدنى، لجامع القوسين من الأعلى.

من عرف روح الله رسولا لله تمثل بشرا سويا فلاقاه، وكان معه بباطنه لمعناه وجها لوجه في الأعلى من مولاه، كان ظلا لمن داناه، ومن باسم الأعلى قاربه فرعاه، وعَلَّمه فولاه، ورحمه فطواه، وأدخله في نفسه لمولد منه بمعناه، (أنا روح القدس)[١٣]. (حسين مني وأنا من حسين)[١٤].

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[١٥]، {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم}[١٦]، إنه يقوم ويتقلب في الساجدين مشهودا من رب العالمين، يسجد لله في الطائعين، الموالين، المحبين، المتابعين الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، ويُسجد المتكبرين بعزة الله فيه، الكبر على أهل الكبر صدقة. ويَهشِم الطغاة والطاغين {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}[١٧]، ويوقظ النائمين رحمة للعالمين، مؤذنا في الناس بالحج يأتوه رجالا وعلى كل ضامر إلى نصب الله، إلى بيت الله نصباً لمعنى بيت الله، برجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، لبيوت ترفع وتوضع، قلوب واسعة لعوالم يذكر فيها اسمه، عترة رسول الله وظلالهم.

من لا ولي له من الله بعبد لله قد تولاه، فوليه الشيطان، وعدوه الرحمن، وقاليه الرحيم، وبعيد عنه الإحسان، ولا يكلمه الكليم ممن كان له من الأعلى كليم، {إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين}[١٨]. {ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}[١٩].

إن الذين لا يذكرون الله لأنفسهم في أنفسهم لا يكلمهم الله، يوم يحين الحين فهو يكلم الناس أجمعين، ويكشف الغطاء للطالبين، ويحقق الرجاء للسائلين، ويوقع الجزاء على الغافلين، في يوم للدين عند طالب الدين، قام بقيام الدين فيه، وتَكَشَّفَ بقيام اليقين له، في كل زمان وفي كل حين، ما غفل عنه إلا الغافلون، ولا نام عنه إلا النائمون، وما غاب عن اليقظين، وما احتجب عن العالمين العاملين، وما قصر عن البيان مع العارفين. هل طلبه الناس مع من عرفه من الناس، فعز عليهم المنال، أو احتجب لعيونهم المثال، أو قصر عن التواجد في أمرهم الحال، أم احتجب عن عقولهم أمر المآل؟ ولكنهم ينتظرون يوم الفصل في أمر المحسنين وقد علوا على الكافرين والمستكبرين، وهو يوم الكشف عن أمر الناس محرومين، في حالهم تعساء مبلسين، بتغيير في نظم الحكم وأيدي الحاكمين، وهو ما لا يغيب عن الحكماء الناظرين، وإن تكشف بقدر للعالمين، وله دورة باليقين للمنكرين والطاغين.

بُعِث الحق برسول الفطرة، وكم بُعث الحق في الفطرة برسول للفطرة، وكم بقي رسول الفطرة مبعوثا بالحق في فطرته، على فطرته، للناس في الفطرة، في كل وقت وحين، وكم جدد رسالته على رؤوس القرون في حسبانها مع كل إنسان لإنسانها تبدأ من لمحات اليقين، وما كان الله عليها لطالبها بضنين، ولكن الناس هم الناس، والنفوس هي النفوس، أليست هي مملكة الظلام بمادياتها! أليست هي مثوى الظالمين بمشاقها وأعبائها وآلامها! أليست هي مرتع العابثين بفتنتها! أليست هي خيبة الضالين بجلدتها!

أليست هي خدعة الظالمين الطاغين بعزتها اختبارا للمؤمنين حتى يوم الفصل المبين، يوم يرثها من العباد الصالحون المحققون، وهم وارثوها في دوام متعاقبين، بعيدا عن نظر السفهاء الغافلين! (أخفى الله الولي في الخلق)[٢٠]، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[٢١]، (كيفما تكونوا يولَّ عليكم)[٢٢].

ما كان الغيب للشهادة تعريفا عن الحق يوما بضنين، وما كان الإنسان في معرفته للحق بظنين. ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والبصيرة واليقين. يجادلون في الله بغير علم ويتبعون كل شيطان مريد، باسم الدين، واسم اليقين. تعالى الله عما يصفون. إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض يقولون بأنهم هم المصلحون، وهم المفسدون وما يشعرون.

انتظر إلى أن يأتي يومهم الذي يوعدون. إن يوم الفصل في أمرك إنما هو يوم الدين، يوم تظهر لهم ما وراء مالك يوم الدين عبدا لله وربا للعالمين، رحمة الله وسيدًا للأولين، وقُدسا للآخرين، حقا لله ووجها لمن عَرفت بيقين، شهدك وشُهدت به في العالمين، وما كنت في شهود أو في شهادة بظنين. عَلِمت وعَلَّمت، وما كنت فيما أعلمناك لمن يطلب العلم عنا من الضالين. وما حجبناك بمعناك لمعنانا عن الصادقين.

جعلنا بك أمرنا للمفتقرين. جعلناك أمرا لله لأهل اليقين. جعلناك أمر الله على العالمين. جعلناك الحق من الله للناظرين. جعلناك عَلَمًا على ما كان يوم كان للحق في الخلق مكان. وجعلناك علما على ما يكون يوم يستيقظ لطلب الحق الغافلون.

جعلناك أمرا وسطا قائم القيوم عبدًا وربًا، ورسول الله ربًا وعبدًا، عبدا لله عند من رآك، قام عليك القديم لك ربا، وجعل منك حقا ورسولا لتعريفك عنك في مولاك، في التعريف عنه عند من والاك، فكنت ربًا وعبدًا، ربًا لمن والاك، وعينا له عبدًا لمولاك.

يا من تفتحت بصيرته للقديم والجديد، وللإطلاق والتقييد، وللإحسان والمزيد، وللحكمة لله بالمؤمن والعنيد، فعرِفت وعَرفت أنه هو الذي يبدئ ويعيد، يبدأ من بدء في طاعة وإيمان، فيختبره في الحجاب لمقام الإحسان، فيقوم أهل الجنان بين مقسط لأمر الغناء، وبين معتز بالمكنة والاستغناء، فيرتقي المقسطون إلى عليين ويسقط إلى الهاوية باستغنائهم المعتزون. فالناس بين هاوٍ في الاختبار يوم جاءه الادكار وبين صاعد بالاعتبار، وما اختلفوا إلا بعد الذي جاءهم من العلم، وهذا هو شأن الأمر لله بهذه الدار، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، ولذلك خلقهم. لا يزالون مختلفين حتى يعنونوا معالم الحقيقة، وأسماء الحق، ووجوه الخلق، وألوان النور، وأطياف الظلام، ومعارج الحقائق، وطرائق الحكمة، وأساليب الأحكام.

إنكم على أرضكم هذه بمادياتكم بمجتمعكم هذا من حيث الحقيقة وجود لا وجود له، وبمعانيكم وأرواحكم هو أمر ما قبل الوجود. إنه أول عوالم الروح بقلوب في أكنانها لإنسان حق واحد، لروح قدس جامع واحد. منه يبدأ التواجد بعملكم، بيقظتكم، باستجابتكم لداعي الله من أنفسكم بينكم، بامتثالكم لأمر الله مع كلمات لله قدوة لكم، بقيامكم في طاعة الله في متابعتها، وبحرصكم على كسب الله على ما كسبته في شهودكم. أنتم أمر الله في كنزيته كلمات لله في مهدها. وقد جاءكم أمر الله مفارقا كنزيته ليُعرفكم عن الله بتعريفكم عنكم. جاءكم رسول الله ليحدثكم عن نفسه لأنفسكم كتاب الله لكم، جاءكم أمر الله ليعرفكم عن أمر الله لكم، وأمر الله بكم، وأمر الله عليكم، وأمر الله دونكم، في جلابيب المادة احتجب عنكم، وبحياة القلوب قام بكم.

جاءكم رسول الله ليعرفكم من أنتم، لا ليعرفكم من هو، فما عرفه غير ربه، وهو غني عنكم بنفسه معروف لها مكتفي بها، ولكن كبرياءكم، وغفلتكم، وجهلكم، وظلامكم، جعلكم تزعمون أنكم برسول الله أحطتم، وله عرفتم، وبه آمنتم، وربه دونه طلبتم. وأنتم بحالكم وفعلكم من المجانبة له والرغبة عنه، وتجاهل نعمة الفناء فيه وحقية القيام به، لربه قليتم، ولأمره فيكم لكم أفسدتم، ولدينه لكم وللناس أتلفتم، وبكتابه حيا مبينا بعترته عبثتم، والرحمة معه هدية لكم رفضتم، والنور لقلوبكم نور الله جافيتم، والحق لأمركم من أمره أنكرتم، وبالظلام إلى الظلام سكنتم، وبالجهل في الجهل وللجهل طلبتم.

وأنتم بعبثكم هذا بوهم العمل وزعم الاجتهاد فضلتم العدم على الحياة، وفضلتم الظلام على النور، وفضلتم الجهل على العلم، وفضلتم الفوضى على النظام، وفضلتم الطغيان على العدل، وفضلتم الفقدان على الكسب، ورضيتم النصب، ورفضتم الوهب. ورسول الله رحمة مهداة لا تكسب لكاسب ولكنها تُوهب لمفتقر طالب.. هو وحي يوحى.. هو أمر يقوم.. هو نور في مشكاة الظلام من الصدر يشرق.. هو الاستقامة في بيئة الفوضى من الجوارح في مملكة الفرد بالظلام، تذهب يوم هو به يؤمن وله في ظلاله يتابع.

به استقامة عوالم الجوارح.. وبه حرية انطلاق الروح.. ومنه استنارة العقل أصلا لعوالم النور.. إنه شعلة مصباح القلب.. إنه الحياة.. إنه اسم الله لمن يطلب الله.. إنه سفينة النجاة لمن يطلب النجاة.. إنه جنة الوجود لمن طلب التواجد في الموجود.. إنه كل شيء يوم يؤمن به الشيء.. إنه كل أمر يوم يؤمن به الأمر.. إنه كل نفس يوم تؤمن به النفس.. إنه كل عقل يوم يشرق به العقل.. إنه كل ألوان الحياة يوم تهتز أرض القلب بالحياة.. إنه كل القلوب يوم تحيا القلوب.. إنه الحق من الله لمن طلب الله.. {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}[٢٣]، فكيف لا يقوم الحق منه في الخلق له

بما لله في نفسه من الغناء والاستغناء! {حسبك الله}[٢٤]، {ومن اتبعك من المؤمنين}[٢٥] حسبهم الله، ألست معهم؟ ألست لهم؟ ألست الحق؟ {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[٢٦].

يرددون حديثه ثم يعقبون أو كما قال.. أي أنهم الأمناء يزعمون متابعته، ومتابعة من تابعه، يقولون التابعين وتابع التابعين بإحسان إلى يوم الدين. من يكون التابعون؟ وأين هم من تابعوهم؟ أأمثالكم؟! وما يكون يوم الدين!؟ أليس يوم الرسول يوما للدين! إن الكفر بكم إيمان برسول الله. لقد أصبحتم بحالكم اليوم على أمثال سابقيكم بمعانيكم قذىً في العيون، ورمدا للجفون. أنتم بؤرة المجتمعات فيها كل إفك وكل مأفون، أنتم القذارة للوجود، أنتم مراحيض الجهلاء من طالبي التخلص من الأوزار بالسجود، تحملون أوزاركم وأوزارا مع أوزاركم. أأنتم التابعين ومتابعي التابعين وأنتم للقرآن عضين! تتخذونه هزوا، حديثا حُكمُه عندكم حُكم حديث أي متحدث منكم كتابا مهجورا، لا واقع له فيما هو واقع بحياتكم وأحداثكم. جعلتموه كلاما ممجوجا بتحريفكم له عن مواضعه من الأعمال، ألفاظا تقال بالأفواه لتطرق الأسماع، لا واقع لها في العقول، لا تقشعر لها جلود، ولا تخشع لها قلوب، ولا تحار لها أفئدة. أين هي القلوب والعقول لموضعها من الإنسان عندكم؟ وما تكون النفوس في نظركم؟ ألا تحيا به النفوس وهل هي في حياة؟ أين هي استقامة النفوس! وما تكون! وكيف تكون! وأين هي البصائر لها!

ثم هم بعد ذلك أهل السنة! إنهم أهل السنة! وغيرهم أهل مواجيد، أهل خيالات، أهل أوهام، هؤلاء فرقة ضالة من المسلمين، إنهم قوم يعيشون في أوهامهم. أما هم فإنهم يحملون أمانة الدين! فهم أصحاب الفضيلة وأهل التفضيل! ويسألون للرسول الفضيلة والوسيلة متفضلين! ليكون يوما على مثالهم صاحب فضيلة! وليمنح ما هو محروم منه من وسيلة!

فليتأمل الناس الآن كيف يعبث بهذه البشرية الجان، وهو على حق، ونصيبه من الله أكثر منها من الصدق، إنها رسالة الله للشياطين على الكافرين تؤزهم بالحق، وقد وقع القول على الناس بفعلهم. إن الجان يبحث، إنه يطرق بيوتا في البشرية سائبة لا مالك لها من الحق، لعله يرى عن طريقها نورا لله في الأرض، لعله يرى في البشرية رجلا سعيدا مسرورا، فيطلب السعادة معه، يطلب الرحمة معه. إن الجان يبحث عن رسول الله في البشرية، وقد استيقظ لأمر الرسول يقوم ويتقلب في الساجدين. ومن قبل فعل الصالحون منهم مع من صلح من البشرية لذلك.. أو هو يوقع جزاءً على مسيء مقتا له ومجاهدة منه في الله.

إننا في هذه الجماعة نتحدث كل يوم إلى هذا العالم فيمن يتواجد فيه من البشر من بيننا، حديث خير لا عنت ولا استعلاء فيه. سبحان الله.. سبحان الله.. سبحان الله.. لقد وجدنا في هذا العالم أُذنا صاغية، ما تحدثنا معه بحق إلا وعاه، وما رددناه عن مسلك معوج إلا استمع فجافاه، وما طالبناه أن

يتخلى عن دارٍ شغلها هي لغيره، وكشفنا له عما غمض عليه من أمره وأدرك ذلك إلا عن هذه الأرض تخلى، وعما فعل اعتذر، ولما أتلف قَوَّم وأصلح. صدق الله إن الذي كان في أحسن تقويم من القيام بالبشرية رُد بغفلته.. رُد بكنوده.. رُد بجحوده.. رُد بظلمه لنفسه أسفل سافلين، فتحكم فيه الجان وهو في سمت الإنسان وابن الإنسان صورة لآدم أو لابن آدم، فتمتد يد رحمة الله إلى من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فتخلصه من هذا السلطان.

إن العوالم الغيبية عليكم من الأعلى منكم والأسفل عنكم لأحدية عالمكم، أمرا وسطا لله تنشد الحق عند أهل الحق منكم، ظاهرا على أرضكم بوجه له من وجوه ذاته وظلا له هي كلمة الله من ذات للمطلق لأحدية حضرته في اللانهائي، لدائرة قدسه بروحه لأهل السموات والأرض.

وهذه العوالم يوم لا تنشد الحق عند أهل الحق مستخلفا من عالمكم تعتبر من الهاوين السافلين. وأنتم في عالمكم من الأرض أغفل من الغافلين منهم عن الحق فيكم، وأنتم أسفل من السافلين منهم، فأنتم الأسفلين، وطريقا أسفل منهم هاوين حتى إذا ما زعمتموكم الصالحين، ووهمتموكم الأولياء المخرجين بصحبة من الجن تتابعون، وبالخوارق تقومون، كرامات لكم من الله تزعمون، وهم لكم مخادعون يزعموهم لكم متابعين، وهي رسالتهم عليكم مختبرين في الأولين والآخرين.

وتأبون إلا أن يكون الجان عليكم محكمين، وفي أمركم حاكمين، وأنتم عليهم المكرمين المقومين، يوم تكرمون، وهم عليكم جزاء غفلتكم مسلطون. ونرسل الشياطين على الكافرين فتأزهم هالكين، وتذهب بهم في الغابرين. بعضكم لبعض عدو إلا المتقين. شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم لبعض زخرف القول وزورا مختالين.

إن هذا قائم أزلا وأبدا، وما هو بطارئ أو بحادث. وما مَر على البشرية زمان كان هذا فيه أمرا بعيدا عنها، ولكنه بغفلة البشرية يصبح رسالة ويصبح طور قوامة.

وهكذا كان يوم ساد به على جنسه سليمان، فأخذ طابع الجان ومثل أثرة الإنسان. تخلى رسول الله ورحمة الله للعالمين بحكمته عمن كان لهم رحمة رفضوها، وذكرًا لله جفوه وحقًا من الله، قلوه، {لا أعبد ما تعبدون لكم دينكم ولي دين}[٢٧]، ولم يتملكه الغضب، فيظهر بقهرهم، إذ يظهر بما فيه من الحق، فيصبح أمره فتنة أخطر من فتنة النفوس لأنفسها.

تركهم لأنفسهم.. ما حجوه.. وما طافوه.. وما سجدوه.. ما أعلوه.. وما كسبوه.. ما دانوه.. ولكن بكل قبيح عاملوه، حتى إذا ما قبلوه فتابعوه، فبكل ظلم قاموه، وفي أنفسهم على ظلامها زعموه، عبدوه وعبَّدوه، وعن الجادة حرفوه، وفي ظلام أنفسهم لاقوه، وفي أرواحهم ما عرفوه، وفي عقولهم

ما حرروه، لأنهم بأي لون من الإدراك ما أدركوه، وبأي أمر من أمر الله ما أقاموه، فرأى أن من الحكمة ومن الرحمة بهم أن يتركهم لأنفسهم لبعض الوقت لعلهم يجأرون، ولكن ما أصبرهم على النار يصطلون، وعن الثرثرة لا يفترون، وعن العبث لا يكفون.

إنا نرى في ظاهرنا من عالمنا من آيات الله في كل يوم ما تنفطر له القلوب، ما يملأنا ألما، ما يملأنا حزنا، ما يُشهدنا أنفسنا في عجزها، ونفوسنا في انحراف أمرها، ومجتمعنا في ظلامه، كيف يعبث من الغيب علينا فيه عوالمه، يعبثون بهذا الجانب للعالم من الشهادة، الذي ما أوجده الله وهو لعوالم خلقه في كل معارجها غيب الغيوب، إلا ليجعل منه نُصبا لشهادة كل عالم طالب للحق لم يقمه بعد.

خلق الأعلى البشرية على هذه الأرض متجليا بخليقته من اصطفائه منها عليها، معمرا بهم عوالم السموات ليجعل من أهل الأرض حضرة ربانية، ترتد إليها أنظار أهل السموات من أبنائها، ومن ثمارها، هم منها بدءا هي لهم شجرة طيبة، هم كلمات الحق منها وإليها شجرة باقية بالله، باسقة مثمرة، مورقة، عالية، قطوفها دانية، تؤتي أُكلها كل حين، هي حجاب أعظم، لما قبلها من الأزل لجنسها ولحقائق الله لها، وهذا لها دائما بحقها لا بمادياتها على ثمارها وما ينشأ عنها، لتقوم على نفسها في مادياتها بحكمة الله ورحمته، ممتدة من روحه بقلوب في أكنانها، بذوات أهلها من نبات أرضها هيا كل عوالمهم.

ولكن الرحمة تبدو وقد تخلت أو تتخلى عنها إرهاصا لجديد من ساعة كما نرى اليوم لبعض الحين، وقد بدأ هذا مترددا بين القوة والضعف في ظهوره من أوائل هذا القرن، فانتظروا في أيامكم القادمة قضاء من الأعلى في أمر قام بينكم منذ ألف سنة وبضع مئات ونيف من عشرات السنين. وهذه ليست نبوءتي فإني لا أتنبأ ولست نبيئا، ولكنها نبوءة من محل التنبؤ، وممن يقومون بالإنباء، وممن يصنعون النبأ، من عوالم الصلة، تصلنا ونستقبلها راضين، ونحن لأمرها طائعين، ولندائها مجيبين. إنها عوالم الروح، إنها هي التي تتنبأ.

إن الأرض الآن في طريقها لزلزلة عاتية بدأت بداياتها. إنها تتعرض لسيل من الأحداث يعم جميع الأجناس، ستزلزل القلوب والنفوس زلزالا شديدا دونه زلزلة الأرض لهدم أبنيتها أو خراب مدنها، إنها زلزلة القلوب، إنها زلزلة أرض القلوب، إنها زلزلة النفوس، إنها زلزلة العقول، إنها رد أعمالكم وأعمال آبائكم إليكم وإليهم، إنه سفور لساعة الله القائمة عند عالِمها، إنها كشف للقيامة الدائمة عند قائمها.

إنها العلم، إنها المعرفة، بكشف الغطاء للإنسان عن نفسه في حاله بحاضره. إنه كشف الإبلاس يعم سائر الناس. ليس هناك فرد ينتظر، فأي أمر ننتظر ولله الأمر كله! {ومن يهد الله فهو المهتد}[٢٨] وهو المهدي، وهو الهادي، {غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين}[٢٩]. هل هذا جديد على البشرية؟ هل خرج به الأمر من يد الله يومئذ أو من سلطان روح الله سواء غلب الروم أو غُلبوا؟ لا، بل الأمر لله من قبل، والأمر لله من بعد، والأمر لله في كل ما يقوم. فمتى غاب أمر الله عن خلقه وعن ملكه؟ {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم [بني إسرائيل آخرين] عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا}[٣٠]. ولكن الأيام نداولها بين الناس، ثم رددنا لكم الكرة عليهم، ورددنا عملهم إليهم، يوم أساءوا الخلافة لهم منا على أنفسهم، وأمددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيرا، فإذا جاء وعد الآخرة وقد عدتم للإساءة بدوركم ليسوؤوا وجوهكم، ويدخلوا البيت كما دخلوه أول مرة، ولعلنا في أوانها، ولعلنا قاربنا زمانها، والقول في طريقه ليقع علينا، ولله الأمر من قبل ومن بعد، تلك الأيام يداولها بين الناس.

إن الدين إنما هو قانون الفطرة، وإن الله إنما هو الحياة، وإن الرسول إنما هو نورها، والنفوس إنما هي ظلامها، والنور إنما هو العقل، والطريق هي انتظام الحركة والسكون على مراده يوم تُشعَل جذوة النفس فتعمل فتتحرك بأمره فتكسب الحياة، أو تطفأ فتسكن، وتفنى بتعطيله، فتفقد الحياة.. له المحيا والممات.. له النور والظلام.. له الظل والحرور.. له كل شيء، وليس كمثله شيء.

إنه الله وكفى.. إنه يداني بمن اصطفى لمن اصطفى.. إنه يظهر بمن توفَّى، وبمن داناه وهدى وأوفى، ما عرفه الأعلون إلا في أنفسهم وما شهدوه إلا برسول له، ولن يعرفه القائمون إلا في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في رسول له، ولن يعرفه الأسفلون إلا في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في رسول له فيفارقون وصفهم، لم يعرفه الماضون إلا في أنفسهم ولم يشهدوه إلا في رسول له، ولا يعرفه الآتون إلا في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في رسول له، ولا يعرفه النيام إلا في معاني يقظتهم في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في قائم رسول له، هو الحق منه للأعلى فيه، وهو الحق بعينه لنفسه في الأدنى، فلا يعرف حقه لنفسه إلا في النفس بمعارج حقائقه من معاني رسول ومرسله عند مرسل إليه. وهذا ما جاء به رسول الفطرة بشهادة أنه لا إله إلا إله، وبمعراج الله أكبر، وبإيمان محمد رسول هو اسم الله.. هو وجه مرسله.. هو رسول الله الأزلي الدائم.. هو الحق من الله كلما ظهر الخالق لتجلياته بخلقه في قيام قائم وحدانيته، بالسفور بحق من أنفسهم عبدا ورسولا له.

نشهد أنه لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله. نشهد أنه جماع رسل الله، وأنه روح القدس له، وجماع المسحاء لإنسان ذاته رفيقا أعلى، وأنه إنسان حضرة قرب الله، وإنسان عين الإنسان بالإحسان، وإنسان الوجود، وإنسان الشهادة في كل شيء موجود، عبد الله وإنسانه، عبد الرحمن وعلمه وعنوانه، عبد الرحمة وعين الرحمة، ورسول الرحمة، ومرسل الرحمة.

لا إله إلا الله على ما عَلَّمها، ولا إله إلا الله على ما أشهدها، ولا إله إلا الله على ما قالها، ولا إله إلا الله على ما عَلِمها. لأنفسنا معه نسألها، فنشهد أنه لا إله إلا الله، ونقوم محمدا رسول الله، ظلالا له، حقا لنا، به نحيا، وبه نسعد، وبه عنا نموت، وبه بنا لمعنانا به نُبعَث، وبه نقوم، وإليه حقا نؤول.

محمد رسول الله.. محمد حبيب الله.. محمد خليل الله.. محمد اسم الله.. محمد وجه الله.. محمد روح الله.. محمد نور الله.. محمد الحق من الله. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا.. اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.. اللهم به فأصلح حالنا، حكاما ومحكومين، أئمة ومتابعين، مجتهدين ومقتدين، يقظين وغافلين، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد الحكيم (سلفربرش)

(كونوا جنودا أمجادا. اثبتوا في مواقع معرفتكم. ولعل قوة الروح الأعظم تظهر في كل حياتكم يوما بعد يوم، ساعة بعد ساعة، دقيقة بعد دقيقة، وثانية بعد ثانية، حتى تشعوا حبه، وحكمته، وصدقه، حتى تكونوا وسطاءه حقا، المجاهدين للخدمة، المجاهدين للمساعدة، المجاهدين لتعليم من هم أقل منكم حظًا.

متى تتعلم دنياكم دروسها؟ يجب أن يكون في قلوبكم الحب، والإرادة، الطيبة، والتسامح، والعطف، والمشاركة الوجدانية للبشر جميعا، مهما ضلوا السبيل، مهما اغتروا أو انساقوا).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ٣٠ , سورة آل عمران - ٢٨

٢ سورة يونس - ٢٦

٣ سورة النحل - ١٢٨

٤ سورة الملك -٢

٥ سورة الحج -٧٥

٦ حديث شريف. أخرجه البيهقي، كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوَّك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك."

٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.

٨ سورة العاديات - ٦

٩ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

١٠ استلهاما من {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر – ٨٨، و{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥

١١ سورة الانفطار - ٨

١٢ سورة المزمل - ٦

١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٤ حديث شريف: "حُسينٌ مِنّي، وأنا منه، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسيناً، الحسَنُ والحسينُ مِن الأسباطِ". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.

١٥ سورة الأحزاب - ٦

١٦ سورة الأحزاب -٤٠

١٧ سورة الأنفال - ١٧

١٨ سورة الأعراف - ١٩٦

١٩ سورة الكهف- ١٧

٢٠ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢١ من حديث شريف: " رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عنه أَعْيُنُ الناسِ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ". خرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.

٢٢ حديث شريف: "كما تكونوا يولَّ عليكم." رواه الديلمي والبيهقي.

٢٣ سورة فاطر- ١٥

٢٤ سورة الأنفال - ٦٤

٢٥ سورة الأنفال -٦٤

٢٦ سورة الحديد - ٢٨

٢٧ سورة الْكَافِرُونَ - ٢ و٦

٢٨ سورة الكهف - ٩٧

٢٩ سورة الروم ٢-٤

٣٠ سورة الإسراء - ٥